المحاضرة 4: عوامل ومقومات النشاط الحرفي في بلاد الغرب الإسلامي (المغرب والأندلس)

تستند مقومات النشاط الحرفي إلى مجموعة من الركائز الجغرافية، والاجتماعية، والتنظيمية التي ساهمت في ازدهاره التاريخي، وهي كالتالي:

1. **توفر المواد الخام (المقومات الطبيعية)**

- **تنوع الموارد:** توفرت المواد الأولية بكثرة بين الأنهار والجبال، مما دعم صناعات متنوعة مثل الفخار (من الطين)، والمنسوجات (من الصوف والكتان والحرير).

- **الموارد المعدنية :**ساعد توفر المعادن في الجبال على ازدهار الحدادة وصياغة الحلي الذهبية والفضية.

- **الموارد النباتية والحيوانية :**استُخدم الخشب في النجارة وصناعة السفن، والجلود في الدباغة، والأعشاب في الصناعات العطرية .

2. **المهارة البشرية والخبرة التقنية**

1. **توارث الخبرات:** اعتُبرت الحرف موروثاً يُنقل عبر الأجيال، حيث تفنن الحرفيون في تقنيات النقش، والنحت، والزخرفة المستوحاة من الأشكال الهندسية والطبيعة.

2. **تبادل الخبرات:** استوردت دول الغرب الإسلامي خبرات خارجية، مثل استعانة الدولة الزيانية بصناع من غرناطة في فنون هندسة البساتين والبناء، واستفادة الدولة الرستمية من خبرات الفرس في المنسوجات.

- **دور المرأة والوافدين:** ساهمت المرأة والنازحون (خاصة الأندلسيين) بشكل كبير في تنشيط الحركة الحرفية ونقل تقنيات جديد**.**

3. **التنظيم الإداري والرقابي (الحسبة)**

- **نظام الحسبة :**خضعت الحرف لرقابة دقيقة من "المحتسب" لضمان جودة المنتجات ومنع الغش في الأسواق.

- **التمركز المكاني :**توزع الحرفيون في حوانيت متخصصة داخل أحياء المدن، مع وضع الصناعات التي تحتاج للمياه (مثل المسالخ والدباغة) قرب الأنهار أو التي تصدر ازعاجا كالروائح الكريهة والأصوات المزعجة في أماكن بعيدة عن التجمعات السكانية مطبقة بذلك مبدأ لا ضرر و لا ضرار.

.4الدعم السياسي والأمني

- **رعاية السلاطين :**حظي الحرفيون بتشجيع الحكام لتلبية احتياجات القصور والطبقات الثرية من صناعات الترف.

- **تأمين الطرق :**سعت الدول (مثل الدولة الزيرية) لتأمين الطرق التجارية والمسالك البحرية، مما ضمن وصول المواد الخام وتصريف المنتجات الحرفية .

يُعد **المقوّم البشري** الركيزة الأساسية والمحرك الأول للنشاط الحرفي في الغرب الإسلامي، فهو "العقل المبدع" الذي يحول المواد الخام الجامدة إلى تحف فنية ومنتجات نفعية.

تتجلى أهمية المقومات البشرية في الغرب الإسلامي من خلال النقاط التالية:

.1المهارة الفنية والقدرة على الابتكار

- لم يكن الحرفي مجرد عامل، بل كان **فناناً** يمتلك ذوقاً رفيعاً، وهو ما ظهر في تعقيدات "الزليج" الأندلسي والنقش على الجبس.

- استطاع الإنسان في هذه المناطق تطويع البيئة القاسية؛ فحول الصوف الخشن إلى زرابي فاخرة، والطين إلى أوانٍ خزفية مزينة بأشكال هندسية ونباتية مبهرة.[

- **التراكم المعرفي وتوارث الحرف:**

- اعتمد النشاط الحرفي على نظام **"المعلم والصانع والمتعلم"**، حيث كانت المهارات تُنقل عبر الأجيال كأسرار مهنية مقدسة، مما حافظ على استمرارية الجودة والهوية البصرية للصناعات التقليدية

- **لهجرات البشرية وتبادل الخبرات (التلاقح الثقافي)**

1. لعبت الهجرات دوراً حاسماً؛ فنـزوح الصناع الأندلسيين إلى مدن المغرب (مثل فاس وتلمسان) نقل تقنيات متطورة في الري، والبناء، وصناعة الحرير

2. هذا التلاقح البشري خلق مزيجاً فريداً بين الخبرة الأمازيغية المحلية واللمسات الأندلسية والمشرقية، مما جعل الإنتاج الحرفي في الغرب الإسلامي يتفوق عالمياً في تلك الفترة.

- **.دور المرأة في الإنتاج الحرفي**

- كانت المرأة قوة ضاربة في الاقتصاد الحرفي، خاصة في **صناعة النسيج والزرابي** داخل البيوت، وهي حرف كانت تتطلب صبراً ودقة متناهية، مما جعل منسوجات الغرب الإسلامي (مثل تاهرت والقيروان) مطلوبة في الأسواق العالمية.

- **التنظيم الاجتماعي (الطوائف الحرفية)**

- انتظم الحرفيون في كيانات اجتماعية ومهنية (طوائف)، كان لكل منها "أمين" يمثلهم، مما عزز روح التضامن والتعاون المهني وطور من أدوات الإنتاج.

بالمختصر، فإن **ذكاء الحرفي وصبره** كانا هما اللذان يعطيان القيمة للمادة الخام؛ فبدون تلك "اللمسة البشرية" المبدعة، لم تكن لتتحول المعادن أو الأخشاب إلى حضارة مادية شهد لها التاريخ